

كف نستهفء من حرفة الإعلآم؟

2016-02-02 شبكة النبأ

فشكل التلفاز ركفة مهمة فقوم علفها المشهد العائلف؁ فالعائلة بعء رحلة العمل الشاقة طوال ساعات النهار؁ فعود أفرادها مفعبفن؁ وفف المساء غالباً ما ففتمعون أمام هءه الجهاز الءف فقدم لهم برامج وأعمال ءرامفة شتف؁ ففث ففءاء التلفاز فف بفوت الناس فمفع؁ حتى الفقراء منهم؁ وفقدم على مدار الساعة؁ عبر مئات القنوات الفضائف؁ برامج مءلفة ومفعوعة؁ فبث للعائلات مشاهدَ وأفكارا كئفرة؁ وطالما أننا فف عالم الفوم لا نستطفع ففه كبء فماع هءا السفل الاعلامف المءواصل عبر التلفاز وسواه؁ فإننا لابد أن نبعء عن سبل ءءفة وطرق سهلة؁ فءقق لنا الاستثمار الثقافف الصءفء للتلفاز.

هناك مشكلة فءعلق بما فرفض من مسلسلات وثقافات مءلفة ربما فكون مءسوسة أم مءطط لها مسبقاً فءققفا ففبءة؁ منها الءوبان الثقافف الءف ءءر منه المفكرون المعفنون والمصلءون؁ وفف نفس الوقت فنبغف الفنبه الى عءم الانغلاق والفءوف من الآخر؁ ولكن فبقف فأففر البرامج ءا منءى مؤثر وءطفر اذا ما كانت فءهء الى فءففر الفقالء لصالء الفقافات الوافءة كما هو الحال فف المسلسلات الفركفة.

لءا فأن المءاوف بهذا الشأن لها ما فبفرها؁ لأن الامر هنا بالفوع؁ فماما مءلما فعرض لنا كءب قفمة واخرى هزفلة؁ فلا شك أن الناس سفءتارون ما فففءهم أكثر؁ خاصة اذا تم الفروفء والعرض للمعروض؁ بالفرفقة الفف فءفق والمستوى العقلف والثقافف للناس؁ إن هءا الامر لا فءءلف كئفرا عن الفعامل مع التلفاز؁ فعءما فقدم برامج واعمالاً ءرامفة وءلقات فكرفة فنوفرفة؁ فضع أمام المشاءء ءزمة من الافكار الءءفة المءطورة الفف فتناسب مع عقلفءه؁ عء ءاك سوف فهمل المشاءء تلك القنوات الفف فقوم برامجها على ءس السم بالفءاء كما ففقال؁ وهو اسلوب قء فنطلف على البعض؁ لكن الانسان الواعف ففءءب ءلك بطبفة الحال.

قفم المءءمع والفكاهة السوداء

والمشكلة التي يعاني منها المجتمع العراقي، أن هناك سيلا من القنوات الفضائية التي استغلت (حرية الاعلام)، وبدأت تسيء الفهم لهذه الحرية، فتقدم أعمالا تخدش الذوق وتعمل بالضد من القيم التي تربي عليها المجتمع، وثمة شواهد على المستوى المتدني لعدد من القنوات الفضائية التي تنسب نفسها الى الشعب العراقي من خلال التسمية التي تحملها، وكادر التقديم، واللهجة المستخدمة، يكمن في عدد ليس بالقليل من البرامج السطحية الباهتة التي تُعرض على انها أعمال كوميدية ترفيحية، بحجة ان الملاء الأكبر من الناس، يحتاجون الى برامج وافكار تميل الى الفكاهة اكثر من سواها، وهو امر قد يكون صحيحا، ولكن هذا لا يلغي أهمية تقديم الافكار الجادة والمفيدة للمُشاهد، فالجيد من الأفكار ينبغي أن لا يُهمل بحجة الترفيه والتخفيف عن كاهل الناس عبر برامج لا ترقى للثقافة والوعي.

وهناك الكثير من المعنيين المثقفين والعلماء ورجال الدين وغيرهم، يؤكدون أن الفكاهة والترفيه لا يلغي شرط الفائدة، بل على العكس من ذلك تماما، لأن الاعمال الترفيحية اذا امتزجت بالجدية والفائدة، سوف تكون متميزة على غيرها، كما نلاحظ ذلك في اسلوب الكوميديا الجادة او ما يصطلح عليها بالفكاهة السوداء، فحتى المرح والشعور بالارتياح يأتي ممزوجا بالفكرة التي تفيد المتابع، وتضيف له معلومة جديدة، تزيد من وعيه وثقافته ورصيده الذهني، وفي الوقت نفسه تحافظ على المنحى الترفيهي أيضا.

علما أن هناك من يصر على تقديم المضامين غير السليمة عبر برامج مختلفة يخاطبون بها عقول المشاهدين بأعمارهم المتباينة، ولعل الخطر الأكبر يتعلق بالشباب والمراهقين، فهذه الشرائح تحتاج الى الجدية والوعي والتوجيه الصحيح، لكن ما تقدمه بعض القنوات لا يعبا بهذه الشرائح من بعيد أو قريب، لذا ما يثير الاستغراب حقا، ذلك الاصرار العجيب على الاعمال الهابطة التي تقدمها عدد من القنوات الفضائية المنسوبة للمجتمع العراقي، وهو مؤشر غير سليم على استغلال حرية الاعلام، لأن الحرية ينبغي أن تكون في خدمة المجتمع ولا تعمل بالضد من القيم الجيدة.

هناك دلائل على هذا التوجه الهابط لتلك القنوات، فعندما نتفحص سطحية تلك البرامج، سوف نتوصل الى قناعة تامة تؤكد الضرر الذي يلحق بالمجتمع بسبب عدم استثمار التلفاز ثقافيا، بل غالبا ما تتسبب تلك القنوات بإلحاق الضرر الاكيد بالفرد والمجتمع، على العكس مما يحدث في

مجتمعات اخرى، تبذل كل ما في وسعها من اجل تقديم الاعمال الجادة المتميزة التي تزيد من ثقافة الفرد والمجتمع، عبر برامج متنوعة، يتميز فيها عنصر الجدية والتثقيف، والتعامل مع التلفاز بما يحقق أكبر وافضل نسبة من الفائدة، والتركيز على تعميق القيم المجتمعية بدلا من تهديمها والاساءة لها.

العراقيون ومواجهة ظروف الارهاب

إن الدول المتقدمة تعتمد على لجان مهمة متخصصة وخبراء متمرسون، يضعون الخطط الصحيحة للاستفادة من التلفاز، لكننا لم نلاحظ ذلك في قنواتنا الفضائية، فقد لاحظنا ذلك في ما يقدمه جهاز التلفاز محليا، ونعني بذلك غياب المنهج العلمي الذي يهدف الى رفع مستوى تفكير الفرد والمجتمع، وفهم ما يدور من حوله، وما يستجد في مجال الابتكار والاكتشافات، فضلا عن السلوك والتفكير الذي يرفع من شأن الانسان، ويضعف من قوة المجتمع وقدرته على مواجهة المحن، والمصاعب والمشكلات التي تعصف بالنسيج المجتمعي.

علما أن حاجة العراقيين مضاعفة في هذا المجال، خاصة أنهم يواجهون ظروف الارهاب، والمحاولات الخبيثة لتدمير القيم، ونشر الضغينة والاحقاد بين مكونات المجتمع، حيث يواجه العراقيون مرحلة خطيرة تهدد وجودهم بالفناء، وتهدف الى تمزيق البلد وتقسيمه الى دويلات متحاربة، تحقيقا لمخططات تأمرية وضعتها دوائر خبيثة قد تكون مرتبطة بدول معادية للعراق لتحقيق اهداف دولية واقليمية.

ربما يرى بعضهم تهويلا او مبالغة في هذا الجانب، ولكن التجارب علمتنا، ان من يعمل اعلاميا بالضد من قيم الشعب، فهو يهدف الى اضعافه من اجل استغلاله، وتحقق أهدافه ذات الطابع الاستراتيجي، فيسعى الى منع وحدة الشعوب المنكوبة متمثلة بالمسلمين، فالطرف الآخر لا يتورع عن استخدام كل الوسائل المتاحة، لتحقيق مآرب كثيرة منها البحث المستمر عن المال والربح الكبير على حساب الشعوب الفقيرة، لذا من الممكن جدا أن يتم توظيف التلفاز لتسهيل مثل هذه المهمات والاهداف.

وأخيرا لا بد من التأكيد على أن مواجهة مثل هذه الاهداف الشريرة وغيرها، لا يتم بوجود التسطیح المتعمد الذي تقوم به فضائيات معروفة، ولو اننا قمنا بتوظيف التلفاز بما يتناسب مع ما نواجهه من اخطار جسيمة، مع استثمار المجالات والوسائل الاخرى ثقافيا وفكريا، لأصبحنا جميعا، حتى البسطاء منا، اكثر وعيا وفهما لما يدور حولنا، ويحاك ضدنا، وعندما يتم الفهم التام للمآرب المسيئة ومن يقف وراءها، نستطيع أن نضع الحلول الصحيحة لمواجهة ذلك، عبر التخطيط السليم والارادة التي يمكنها أن تجعل من التلفاز منبرا للوعي والثقافة والتوجيه في داخل كل بيت عراقي.

ولا شك أن الجهات الحكومية القريبة من عمل القنوات الفضائية المغرضة، يقع عليها عبء المتابعة لتحجيم المخاطر التي تبثها تلك الفضائيات، كذلك يكون مفيدا تنبيه الشعب بكل شرائحه لاسيما البسطاء، من أجل فهم الاغراض الحقيقية التي تقف وراء كل البرامج والاعمال الدرامية وسواها، مما يتم التخطيط له ويتم بثه كي يسيء لوعينا وثقافتنا وتقاليدنا، من اجل الترويج للنموذج الآخر، وهو نموذج لا يمت لنا بصلة من قريب أو بعيد.